الحملة على العرب والمسلمين
آلياتها ـ وسائلها ـ أسبابها ـ أنواعها

إنّ الإسلام عقيدة ذات ظلال في واقع الحياة الإنسانية، ومنهج حياة وفكر يتجسد في واقع اجتماعي تتمثله الأكثرية والفردية المؤمنة به، وعندما انبثقت شمس الإسلام الذي قدر له أن يهز العالم كله، انصهر في وجدان كل مؤمن ملتزم ولذلك قالت ملكة الدانمارك مارغريت الثالثة: من الضروري أخذ التحدي الذي يشكله الإسلام على محمل الجد على الصعيد المحلي في مملكتها والعالم ثم قالت: يجب التصدي للإسلام وبدأت شمس الإسلام تبزغ وحطت كل إشعاعاتها الفكرية والاجتماعية في الجزيرة العربية ثم بدأ التطلع إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين ووادي النيل وبعد معارك القادسية واليرموك فتحت الشام والعراق وبعد معارك مع الفرس فتحت المناطق واستمر الفتح في مصر والمغرب وبلاد الأندلس غرباً حتى بواتيه قرب باريس.

وامتدت الفتوحات شرقاً حتى الصين، وفتحت بلاد الهند والسند وقامت الخلافة الراشدية ثم الأموية ومن ثم الخلافة العباسية وازدهرت حضارة العالم العربي والإسلامي وصارت قوة يحسب لها كل حساب على امتداد العالم، حتى شارلمان كان يرسل الهدايا إلى هارون الرشيد، وإن انتصارات الإسلام وتألقه استمر حتى القرن الخامس الهجري الموافق للقرن العاشر ثم بدأت تتمزق هذه الأمة إلى دويلات؛ فالأدارسة في المغرب والفاطميون في مصر والسلاجقة والبويهيون في المشرق.

كانت الحملة على الإسلام قد بدأت من مكة وفي المدينة من كفار قريش ومن اليهود وانتصر الإسلام ووحد هذه الجزيرة واستمرت الفتوحات حتى صارت دويلات وبدأت الحملة الشرسة والتعاون والتحالفات المغولية الصليبية[1] منذ أن تخلت الأمة الإسلامية عن وحدتها، وعن أخلاق المبادرة إلى الدعوة، تمزقت وتطبعت بروح الدفاع، فكان أن تعرضت إلى كثير من أعمال العدوان كان أشدها وأطولها العدوان الصليبي، الذي ما برح قائماً على درجة عالية من الشراسة والحقد والوحشية، منذ ما يزيد على تسعة قرون من الزمن قال الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾التوبة 33. وقال أيضاً: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾الصف 61.

ولأهمية الحروب الصليبية اهتم الأستاذ الدكتور سهيل زكار خلال أربعة عقود من الزمن بدراسة موضوع الحروب الصليبية وخطورتها وآثارها السلبية على هذه الأمة، فقد ألقت ظلالها خلال قرنين من الزمن وكلها حروب وتهجير ومآسٍ وخاصة بعد تعاون المغول مع الشرق حيث حطموا كل آثار تمت إلى حضارة عربية إسلامية بتدمير بغداد حتى سقطوا في عين جالوت وبقيت الحروب الصليبية حتى سقطت مؤقتاً بعد معركة حطين وفتحت القدس بعد أن شكل جيل كبير صنع النصر واستعيدت القدس من الصليبيين.

وقد قاده هذا التعمق باللاهوت المسيحي ومن ثم بالتاريخ اليهودي عبر العصور إلى إخراج الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية بما لا يزيد عن أربعين ألف صحيفة وقد ضمت هذه الموسوعة كل ما يتعلق

---

(1) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين.

بالحملات الصليبية من كل اللغات التي توصل إليها من اللغة العربية واللاتينية، والفرنسية، والإغريقية والسريانية والأرمنية، والصينية والفارسية والمغولية. وهذه الحملة لم تنته حتى الآن.

ويقول البروفسور فرانسيس بويل الأستاذ بجامعة النيوي (إن الحرب على الإرهاب هي امتداد للحروب الصليبية وغاياتها الحصول على ثروات الشعوب في النفط والغاز لإيقاف سبل نهضتها) ويقول الدكتور حسن بكر أستاذ العلوم السياسية بجامعة أسيوط (إن الحملة الصليبية الحادية عشرة المتجهة الآن إلى الشرق الأوسط قد استكملت كل معداتها وأولوياتها)[1].

والحملة الصليبية الجديدة هي انتقام لجنوده الصليبيين الذين هزموا في موقعة حطين وأخرجوا من أرض فلسطين.

وإن قيام دولة إسرائيل على أراضي فلسطين هي دراسة علمية بعد فشل أوروبا بعدة حملات صليبية للاستيلاء على القدس وبيت لحم والناصرة والتي تمثل كعبتهم فأوجدوا الكيان الصهيوني وجعلوها قاعدة عسكرية متقدمة للاستمرار في السيطرة على هذه المنطقة وتتزايد مصالحهم وتتنامى خططهم، وتكبر آمالهم للسيطرة على الشرق الأوسط الكبير.

وإن مساندة الكيان الصهيوني المستمر ـ القوة العسكرية ـ السلاح النووي ـ قرارات الأمم المتحدة المساندة، وحق الفيتو ضد كل قرار يضر بمصالح إسرائيل رغم كونها لا تنفذ قرارات للأمم المتحدة، فالمحافظون

---

(1) جريدة تشرين العدد (9231) 24 نيسان / 2005.

الجدد يدافعون عن إسرائيل حتى لا تدان أبداً وأنها هي الديمقراطية الوحيدة في المنطقة وهي التي يُمارس عليها الإرهاب.

الاستعمار والإرهاب:

بعد الثورة الفرنسية وإثر عصر التنوير صارت للدول الغربية حاجات كثيرة للوصول إلى العالم واحتلال أرضه، واستلاب خياراته والتجارة القسرية معه، واستخدام بعض الناس في المجتمعات الغربية فتم نشوء فكرة العبء العنصري الذي ساد منذ عصر التنوير والذي قام على أساسه مشروع الحداثة الغربية وهو الخطاب العنصري الذي ابتكر نظرية (**عبء الرجل الأبيض في تمدين الشعوب الغارقة في جهلها**) وهذا الشعار كان الغطاء الأيديولوجي لإضفاء الشرعية على الاستعمار، ومن ثم استعمرت البلاد العربية والإسلامية وكان اكتشاف رأس الرجاء الصالح على يدي (فاسكودي غاما 1497) حيث أراد الوصول إلى جنوب شرقي آسيا للاحتلال والتبشير والاستيلاء على المواد الخام فيها من قبل البرتغال والإسبان ثم الإنكليز والإفرنسيين.

وكتبنا تمجد هذا الاكتشاف وتمدح هذا الإنجاز الذي في حقيقته هو الشروع بالاستعمار (والحقيقة هي الحرب ضد الإسلام والمسلمين).

واستمر الأمر حتى تحررت الجزائر ولم تتحرر فلسطين وها نحن نجد استعماراً جديدة تحت شعار جديد وهو (الحرب ضد الإرهاب) فاستعمرت واحتلت أفغانستان والعراق تحت غطاء إيديولوجي جديد حقوق الإنسان والديمقراطية والحقيقة هي تقسيم النفوذ والاستيلاء على النفط وحماية الدولة الربيبة لأمريكا وهي إسرائيل وإيجاد العدو الجديد الذي هو الإسلام وأقامت مجموعة كونفليتس فورم (ملتقى النزاعات المشتعلة) في لندن مبادرة حوار

(الإسلام والغرب) لإيجاد المبررات لهذه الحروب المستمرة وإن التحليل الذي جاء به فريدها ليداي يحتوي على أسباب العداء بين الغرب والإسلام وهو:

1 ـ العداء المتأصل بين الإسلام والغرب، والتدخل لغير مصلحة الشعوب الإسلامية والعربية وقال محمد أركون (أصبح المسلمون يشكلون في نظر الغرب خطراً لا يمكن احتماله أو القبول به)[1].

وإنّ حقدهم وعداءهم يقود كما وضح بولكستاين في حواره مع محمد أركون قائلاً: إن معركة فيينا لم تنته إلا عام 1683 وينبغي أن لا ننسى ذلك، هذا يعني أنها اختتمت مرحلة ألف سنة كان فيها العالم الإسلامي أقوى من العالم الأوروبي ويقول (صحيح أن العالم الغربي قد انسحب من إسبانيا في نهاية المطاف ولكنه هيمن عليها مدة خمسة قرون).

والذي ينمي هذا العداء على الإسلام اليهود والمستشرقون وعلى رأسهم برنارد لويس وأرنست رينان وفوكويوما كما يؤمن اللوبي اليهودي والمحافظون الجدد وعلى رأسهم نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني واليهودي وولفويتز والكيلودي ريتشارد بيرل وفايت رامسفيلد أن الإسلام يتمتع بحصانة طبيعية ضد التطور والديمقراطية لذلك من الواجب تغييره واستبداله بمنظومة القيم الفكرية والثقافية الأمريكية وإيجاد مناهج دراسة تتخلى عن الخطاب الديني والسياسي المعادي لإسرائيل وشطب الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد والاستشهاد ضد الاحتلال الإسرائيلي.

---

(1) ص 46 الإسلام والغرب وأوروبا.

2 – الغرب يحاول تقسيم العالم العربي الإسلامي وتجزئته والقضاء على بوادر أي وحدة:

من جراء الحقد الذي تنامى في الغرب عبر السنين الطويلة، وبعد الاستعمار الذي سيطر على كل العالم العربي والإسلامي من المشرق إلى المغرب وامتصاص خيراته وتجهيله، وسرقة كل المخطوطات، والنفائس من كل الأوابد التاريخية واللوحات الفنية واضطر لإعطاء هذه الشعوب استقلالها ضمن منظومة الأمم المتحدة ترك فيها مجموعة من الذين تتلمذوا في مدارسه، وأخذوا أفكاره، وعاشوا متوجهين إلى الغرب كأنه قبلة فكرهم، ومنهج حياتهم وأملهم المنشود وسلمهم مقاليد العالم العربي والإسلامي ليبقى هذا العالم مجزءاً، منقسماً ـ مشرذماً لا يتحدون، ولا ينتظم عقدهم في وحدة تجمع شملهم وتنهض بهم، فهؤلاء كرسوا الإقليمية البغيضة، وشددوا على استمرارية الحدود والتجزئة وربطوا مصيرهم بأسيادهم الذين تخرجوا من جامعاتهم أمثال طه حسين، أحمد أمين، وسلامة موسى وعلي عبد الرازق وأدونيس وسلامة موسى وجرجي زيدان وفيليب حتي وآلاف الذين ملكوا المناصب التربوية والثقافية والاجتماعية في بلادنا العربية والإسلامية وعندما تحرر المجتمع من أمثال هؤلاء، وتنامت الصحوة الإسلامية وتزايد عدد المؤمنين بتراث هذه الأمة، وثوابتها بدأت تزداد الحملة لتمزيق هذه الأمة وإعادة التحكم بمصير من شذ عن طريقهم واهتم بوطنه وبدأ يفكر بالتصدي للعدوان الصهيوني ويساندون القضايا العربية والإسلامية والقضية المركزية قضية فلسطين، بدأت الحملة تزداد عليهم والمحاولة لإسقاط أنظمتهم وإقامة الحصار عليهم لإيقاف أي بوادر نهضة عندهم.

3 - **المعاناة المستمرة في فلسطين والشيشان والبوسنة وكشمير والعراق:**

هذه المعاناة المستمرة والمتزايدة لإلهاء العالم العربي والإسلامي في هذه القضايا وإشغالهم بمساعدة أهل هذه البلاد وبهذا يعملون لإيجاد مصارف لإمكاناتهم وقدراتهم فلا يحاولون النهضة والتخطيط لشعوبهم وإنما يحاولون تنمية القدرات العسكرية وشراء الأسلحة وبهذا يبعدونهم عن الوسائل والتخطيط للتنمية الشاملة في القضايا الثقافية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية كما يساعدون اليهود في الأرض المحتلة للاستمرار في القهر والظلم والعدوان، وإن استمرار المعاناة في العديد من هذه البلاد وإشعال نار الفتنة كل ذلك إلهاء عن قضاياها المصيرية وتشتت طاقاتها، وكما استمرت المقابر الجماعية في الحروب العرقية في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وما هي كما صرح كبار القادة الصليبيين إلا استمرار للحروب الصليبية ولإزالة المسلمين من دول البلقان للكراهية المتوارثة منذ تواجد الجيوش التركية في أوروبا.

فهذه العداوة متجذرة، متأصلة في مناطق كثيرة لإيجاد المؤامرة الدائمة والمستمرة وإشعالها كلما خمدت نارها من الحقد الدفين والعداء ضد كل العرب وكل المسلمين.

4 - **ازدواجية المعايير الخاصة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان وخاصة السلوك الإسرائيلي إزاء الشعب الفلسطيني:**

تزايد العداء مع الغرب لتنامي الدفاع عن استمرارية وبقاء إسرائيل والدفاع عنها وظهور القرارات الأممية المساندة لإسرائيل مما ظهر عدوانية الغرب للعالم العربي والإسلامي ليجبروا العالم العربي والإسلامي على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالقوة، بينما إسرائيل وغيرها ترفض قرارات الأمم

المتحدة ولا يجبرها أحد على تنفيذها وهو الأمر الذي دعا إلى تنامي العداء بين الغرب والعالم العربي والعالم الإسلامي والعالم الثالث كله.

وهذه آثار الحملة الشاملة على العالم العربي والإسلامي وهي إحدى الطرق والأساليب التي يتجلّى فيها الظلم المبرمج ضد العالم العربي والإسلامي من قبل الغرب وقد قال جون ايسبوزيتو في وثائق التدخل في الوطن العربي: إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحتل الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط لتشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة.

5 - فساد القيم الغربية التي تحاول تحكم قوتها التكنولوجيا والاتصالات أن تغزو بها المجال الثقافي العربي من خلال الفضائيات:

إن القيم الغربية تختلف عن القيم العربية والإسلامية من حيث الشرف والمروءة والعرض وهي مبادئ أساسية في ثقافتنا ولذا حاول الغرب نشر قيمهم الفاضحة عبر الفضائيات والاتصالات والسيديات وإلهاء الشباب بكل أنواع الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية، ومن مظاهر الفساد الذي ينمي العداء نشر الإباحية والمثلية الجنسية والخمر والمخدرات وكل أنواع الفواحش وإبعادهم عن كل البحوث العلمية والاكتشافات والمخابر لإيجاد جيل من الشباب لا يهتمّ بفنون المعرفة وبذلك يقضون على كل أمل في نهضة هذه الأمة وكل ذلك ببرمجة علمية ودراسات معمقة لاستمرار الجهل والمرض والفقر والجمود الاقتصادي وإسقاط كل الطرق المؤدية لتزايد ثقافة ومعارف هذه الأمم التي يناصبونها العداء ـ إنها حملة شرسة مدروسة مبرمجة لإيقاف

الإصلاح والنهضة والقوة والنماء والاستقرار في كل أرجاء العالم الثالث والعربي والإسلامي بخاصة.

6 - تزايد عدد موجات السياح الغربيين الذين يتصرفون بسلوكيات غير مقبولة إسلامياً:

هذه إحدى الطرق لإضعاف أجيال بكاملها وإلهائها عن قيمها وعقائدها وأفكارها وثوابتها.

فالخمرة والنساء والقمار والمخدرات تتزايد مع موجات السياحة الغربية المدروسة لتخلف هذه الأمة وإبعادها عن قيمها وثوابتها وهي إحدى الطرق التي تؤدي إلى إبعاد أجيال عديدة عن العلوم والمعرفة بكل أشكالها الحضارية وبهذا يستمرون في إضعاف كيان الأمة العربية والإسلامية، وعدم إيجاد الكوادر القادرة على التخطيط والتنظيم والنهضة والكفاية الذاتية.

7 - إشاعة الدول الغربية الرأسمالية لأنماط الاستهلاك الغربي وخاصة مع الشباب:

إن سمات الحضارة الغربية هي الإسراف والاستهلاك السلعي، وتنمية هذه المناحي في العالم العربي والإسلامي عبر الدعايات الفضائية والإعلامية تبعد الإنسان عن أهم طاقاته في الاقتصاد، وتنامي أنواع المعامل المنتشرة عبر العالم لمكدونالد وبيبسي كولا وسيفن آب وكل أنواع المشروبات المتعددة يمارس ضغطاً اجتماعياً استهلاكياً وهذا ما يؤدي إلى العداء بين الشعوب الضعيفة وبين الغرب الرأسمالي المتنامي في السيطرة والعولمة واقتصاد السوق وإبقاء العالم العربي والإسلامي مستهلكاً لمنتجاته، وسوقاً اقتصادياً لمعامله وبذلك تزداد البطالة والانحرافات والسرقة والمخدرات في بلادنا وهناك يجدون فرص العمل لكل كوادرهم المنتجة.

8 – دعم الدول الغربية للنظم الديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي:

وهذا الدعم ليمارس الظلم والقهر والعدوان على شعبه وعلى النخب الفكرية والأدبية والعلمية حسب مخططات ترسم له للحفاظ على استمرارية البقاء في السلطة ومثال ذلك دعمهم لنظام ماركوس في الفليبين للإبقاء على قواعدهم العسكرية. ونظام العديد من الدول العربية والإسلامية التي تسير مع الركب الأمريكي والإنكليزي وآخر مثال ما يجري في أوزباكستان حيث يمارس الرئيس كل أنواع الظلم والقهر، بديكتاتورية بائسة والسجون مليئة ولا تسلط منظمات حقوق الإنسان الضوء على ما يجري بل إنها حاولت حجب قرارات حقوق الإنسان هذا العام وحذفت كل ما يتعلق بإسرائيل والتعذيب في العراق على أيدي الجنود الأمريكيين في غوانتانامو وسجن أبي غريب ومنع التداول لهذه القرارات من منظمات حقوق الإنسان للصفحات المتعلقة بالظلم القائم والعدوان الشامل على الدستور الأمريكي والقوانين الأمريكية رغم الانتهاكات المستمرة على العرب والمسلمين حيث بلغ عدد الانتهاكات حسب الإحصاءات عبر الإنترنت وما صرح به العديد على شاشات التلفزة ما يزيد عن خمسين ألف عدوان في أمريكا وحدها.

وكل هذا يولد الحقد والعداء وتزداد الحملة على العرب والمسلمين.

بل كانت كل هذه الأمور إحدى الأسباب لتنامي الحركات الإسلامية ذات الطابع العدواني ممارسة العنف رداً على العنف والإرهاب ضد الإرهاب والظلم ضد الظالم وهكذا نجد أن أسباب الحملة على العرب والمسلمين هي أسباب حقيقية قام بها الغرب فظلم وقهر واستبد وحكم وسرق مصادر الطاقة وسير الحكام العديدين في ركبه فقام بعض الشباب يسمون

بالإسلاميين السياسيين أو الأصوليين أو القاعدة أو الجهاديين لتحرير الإرادة العربية من الهيمنة الغربية والسيطرة وامتصاص دماء الشعوب على حساب التنمية لبلادهم وحضارتهم وقيمهم.

ورغم الصيحات المعتدلة التي خرجت عبر الغرب أمثال:

ـ جوب كوهين عمدة أمستردام اليهودي الذي قال: الإسلام حقيقته وجدت لتبقى في هولندا. وفي هذه المدينة، علينا أن نتعامل مع الإسلام كحقيقة لا أن يكون موضوعاً نحبه أو لا نحبه لذلك فالسؤال الحقيقي هو كيف يمكن التعايش وقبول بعضنا البعض.

ـ المؤامرة ـ الحروب الصليبية.

ـ الحملة على بلاد الشام عندما تفككت واضطربت قبيل الحملات الصليبية وخلالها لم تفد جميع المحاولات في وقف الغزو من الخارج وامتدت آثار هذا الضعف إلى عمق العالم العربي والإسلامي.

ـ وعندما أعيد توحيد بلاد الشام مع مصر وأعادوا النقاء الإسلامي في الدولة الزنكية ثم الأيوبية تمت لها الانتصارات.

ـ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي موشيه يعلون يبشر على الأحداث في غزة وخان الشيخ ونابلس وآفاق المستقبل.

فقيل له: ألا تحسب للعالم العربي حساباً إزاء هذا العدوان.

قال: لم يعد هناك عالم عربي/ لم نعد نتكلم عن عالم عربي/ لا يوجد شيء اسمه تحالف عربي / هناك لاعبون لكل منهم مصلحته الخاصة والجميع يعرف أن في عالمنا الأحادي القطب كل من يريد أن يعتبر جزءاً من القرية الكبيرة عليه أن يرتبط بالولايات المتحدة وليس له أي حلف آخر.